والحقيقة أنه، في تلك الفترة، كان يؤسّس «اللقاء الثقافيّ الفلسطينيّ» المستقلّ. وأحدُ الفصائل افترى عليه بالزعم أنه شوهد في عمّان يشتري حاجاته من محلات عمّان الكبرى، وأثارت مجلة هذا الفصيل شكوكًا في مصدر الأموال التي استخدمها للشراء! وكان ذلك كلّه كذبًا. أما العجب فإنّ هؤلاء الذين هاجموه صاروا في ما بعدُ من روّاد مكتبه، وكان ديدنُهم الدسّ لديه على الآخرين، وأنا واحدٌ منهم. وكان الدكتور أنيس، لأدبه الفائق، يستمع إليهم، لكنه كان يبادر إلى الاتصال بي فور خلاصه من ثرثرتهم، ويخبرني بالتفصيلات كلّها!

لَكَمْ عجبتُ لرحابة صدره وروحه المتسامحة. فمثلاً، بعدما كان توسَّطَ للشيخ زهير الشاويش لدى الحكومة السوريّة كي يتمكّنَ من العودة إلى الشام، وبعدما صدر القسمُ الأولُ من **الموسوعة الفلسطينيّة**، قام الشاويش بإصدار كتابٍ كاملٍ لتجريح **الموسوعة**. العجب الأكبر أنّ الدكتور أنيس، بعدما ردّ عليه، عاد ليكلّفه وضعَ ملاحظاته على **الموسوعة** للأخذ بها في الطبعة اللاحقة!

هجاؤه

كان التسامح، إذًا، يغمر أنيس صايغ في ما يقول وما يكتب وما يعمل. غير أنّ في الإمكان وصفَه أيضًا بأنه هجّاءٌ خطيرٌ من عيار الفرزدق وجرير. أما هجاؤه فهو من نوع الملَح اللطيفة والسخرية الذكيّة اللمّاحة أو التهكّم المهذّب. ففي سنة ١٩٤٨ كتب مقالةً عن أهل بيروت الذين يذهبون إلى صيدا في أيام الآحاد والأعياد ليقطفوا الأكي دنيا ويعودوا بسيّاراتهم المحمّلة بهذه الفاكهة من دون دفع ثمنها، حتى أسماهم أهلُ صيدا «وطاويط الأكي دنيا.»

ولأنه بارعٌ في اختيار أسمائه المستعارة، فقد برع أيضًا في تغيير أسماء مَن اختلف معهم، لا على موقع أو منصب، بل على فلسطين، فكان سيّدًا في رسم الكاريكاتير بالكلمات على غرار ابن الرومي. هكذا رسم لشخصيّاتٍ سياسيّةٍ معروفةٍ أسماءً غرائبيّةً إلى حدٍّ ما مثل: الأشعث ابن الأشعب (لنبيل شعث)، وجورجيوس شوك الصبّار (لصبري جريس)، وجواد غصن البان (لجويد الغصين)، وشرف البصمجي (لبسام أبو شريف)، وعبد الربّ أبو اليسر (لياسر عبد ربّه) ... وهلمجرّاً.

يُثْمنا من بعده

عاش أنيس صايغ صارمًا في السياسة كعالم، ساخرًا من الأيّام كفنّان، مبدعًا كأديب، وإنسانًا بسيطًا طيّبًا ورقيقًا وفائقَ التهذيب. أما أنا الذي صحبتُه وأحببتُه واحترمتُه وعملتُ إلى جانبه ومعه، فقد أحسستُ باليتم لفقدانه. وها أنا أتذكّره الآن بحسرة ولوعة معًا.

بيروت

في الملفّ الثاني من «اليسار العربيّ: الأزمة والاقتراحات»

- نادر فرجاني
- ندوة من المغرب (إعداد: عبد الحق لبيض)
- موفّق نيربيّه
- إيّاد العبدالله
- دياب أبو جهجه
- .....